



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (شرح السنة للبرهاري) شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (16)

التاريخ: الأحد 07/صفر/1441 هـ

06/أكتوبر/2019 م

الدرس السادس عشر من شرح السنة للبرهاني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد:

فقال المؤلف رحمه الله: ([82] **واعلم أن صلاة الفريضة خمس صلوات؛ لا يزداد فيهنّ، ولا ينقص في مواقيتها، وفي السفر ركعتان إلا المغرب، فمن قال: أكثر من خمس؛ فقد ابتدع، ومن قال: أقل من خمس؛ فقد ابتدع، لا يقبل الله شيئاً منها إلا لوقتها؛ إلا أن يكون نسياناً؛ فإنه معذور، يأتي بها إذا ذكرها، أو يكون مسافراً؛ فيجمع بين الصلاتين إن شاء.**)

الصلاة فريضة من فرائض الله وهي الركن الثاني من أركان الإسلام؛ كما جاء في الحديث الذي في الصحيحين: "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان"⁽¹⁾، فالصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي واجبة بإجماع المسلمين، ووجوبها أمر معلوم من الدين بالضرورة، ومن أنكر وجوب الصلاة؛ كفر.

وأدلة وجوب الصلاة كثيرة في الكتاب والسنة؛ منها ما ذكرناه آنفاً، وحديث الأعرابي الذي سأل النبي ﷺ: ماذا افترض الله عليه من الصلاة؟ قال: "خمس صلوات في اليوم واليلة"، قال: هل عليّ غيرها؟ قال: "لا؛ إلا أن تطوع"⁽²⁾.

وقال النبي ﷺ أيضاً لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "... فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة"⁽³⁾.

ولما نزل جبريل إلى النبي ﷺ علّمه أوقات خمس صلوات⁽⁴⁾.

(1) أخرجه البخاري (8)، ومسلم (16) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري (16)، ومسلم (11) عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(3) أخرجه البخاري (1395)، ومسلم (19) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(4) أخرجه البخاري (521)، (3221)، (4007)، ومسلم (610) عن أبي مسعود البصري رضي الله عنه.

وحين أُسْرِيَ بالنَّبِيِّ ﷺ؛ فرضَ اللهَ عليه هذه الصلاة؛ فرضَ عليه خمس صلوات، كانت خمسين ثم نزلت إلى خمس صلوات.

قال: **(لا يُزَادُ فِيهِنَّ، وَلَا يُنْقَصُ فِي مَوَاقِيْتِهَا)**.

لا تزيد على هذه الخمس التي فرضها الله سبحانه وتعالى على العباد، فلا يزداد في الفرائض اليومية الخمسة التي فرضها الله سبحانه وتعالى، فمن زاد فيهن؛ فقد ابتدع؛ كما قال المؤلف. قال: **(ولا يُنْقَصُ فِي مَوَاقِيْتِهَا)**.

أي أنها تؤدَّى في مَوَاقِيْتِهَا؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى جعل لهذه الصلوات مَوَاقِيْتَ محدَّدة؛ وقال: **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾**⁽¹⁾، ونزل جبريل على النبي ﷺ وصلى له في أوَّل

وقت الصلوات، وصلى له أيضاً آخر الوقت؛ قال رسولُ الله ﷺ: "أَمَنِي جَبْرِيلُ عِنْدَ الْبَيْتِ، فَصَلَّى بِي الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، فَكَانَتْ بِقَدْرِ الشَّرَاكِ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلِيهِ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْفَجْرَ حِينَ حَرَّمَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابُ عَلَى الصَّائِمِ، ثُمَّ صَلَّى الْغَدَاةَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلِيهِ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ صَلَّى بِي الْفَجْرَ فَأَسْفَرَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا وَقْتُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، الْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ"⁽²⁾.

إذا فالصلوات الخمس موقَّعة بوقت، لا يجوز أن تُصلَّيَها قبل وقتها ولا بعد وقتها؛ إنما تصلى في أوقاتها المُحدَّدة لها شرعاً.

فمن صلَّاهَا؛ أي: أداها خارج وقتها؛ سواءً قبل أو بعد؛ فصلاته باطلة مردودةً عليه. ومن تركها إلى أن خرج وقتها؛ لا تُقبل منه، إن كان معذوراً؛ فيُصلِّيها متى ذكرها كما جاء في الحديث: "مَنْ نَسِيَ صَلَاةً، أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا"⁽³⁾، أمَّا إذا لم يكن معذوراً

(1) [النساء:103]

(2) أخرجه بطوله: أحمد (3081)، والترمذي (149)، وأبو داود (393) عن ابن عباس رضي الله عنه.

وفي الصحيحين نحوه من رواية غير ابن عباس.

(3) أخرجه البخاري (597)، ومسلم (684) عن أنس رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

فلا ينفعه أن يصلّيها بعد أن أخرجها عن وقتها متعمّداً؛ لأنّ الصلاة كما ذكرنا مطلوبة منك أن تؤدّيها في وقتها المحدّد لها شرعاً، فإذا تركتها وأخرجتها عن وقتها؛ لا تُقبل منك عندئذٍ.

قال: **(وفي السفر ركعتان)**

يعني صلاة الفريضة:

• في الحضر تُصلّي بعدد الركعات التي فرضت بها، كما جاءت في السنة:

- الظهر أربع ركعات،

- العصر أربعة،

- المغرب ثلاثة،

- العشاء أربعة،

- والفجر ركعتان؛

تصلّي على هذه الصّورة كما فرضها الله سبحانه وتعالى في الحضر،

• أمّا في السفر؛ فقد فرضها الله علينا ركعتين ركعتين؛

- الظهر ركعتين،

- العصر ركعتين،

- العشاء ركعتين،

- أمّا المغرب والفجر فكما هما في الحضر؛ المغرب ثلاثة، والفجر ركعتان؛

فكل الصلوات تصلّي في السفر ركعتين؛ إلّا المغرب تُصلّي ثلاثة، والفجر في السفر يبقى كما هو في الحضر.

قال: **(فمن قال: أكثر من خمس؛ فقد ابتدع، ومن قال: أقل من خمس؛ فقد ابتدع)**

من قال الصلوات المفروضة في اليوم واللييلة أكثر من خمس صلوات؛ فقد جاء ببديعة جديدة خالف بها أدلّة الشرع التي ذكرناها، وغيرها من الأدلّة التي وردت في ذلك.

ومن نقصها عن ذلك كذلك؛ أيضاً قد ابتدع في دين الله ما ليس منه؛ كما يقوله بعض أهل البدع الذين يقولون بأنّ الصلوات المفروضة ثلاث صلوات فقط؛ هذا من البدع والضلّالات التي ضلّوا بها عن جادة الصّواب.

وقد ذكر المؤلف هذه المسائل؛ لأنّها من المسائل التي وردت فيها أدلّة مُحكمة واضحة صريحة، والأُمة قد علّمت هذه المسائل، وهم عليها إلى يومنا هذا، فمن خالفها؛ فهو مبتدعٌ ضال.

قال: **(لا يقبلُ الله شيئاً منها إلا لوقتها)**

لا يقبل الله سبحانه وتعالى شيئاً من هذه الصلوات المفروضات؛ إلا أن تُؤدّى في وقتها المُحدد لها.

قال: **(إلا أن يكون نسياناً؛ فإنّه معذور؛ يأتي بها إذا ذكرها)**

أي: إلا إذا كان الشخص الذي أخرجها عن وقتها ناسياً؛ فهو معذور كما ذكرنا في الحديث: "من نام عن صلاةٍ أو نسيها؛ فليُصلّها متى ذكرها؛ لا كفارة لها إلا ذلك" ⁽¹⁾؛ كما جاء في الرواية.

قال: **(أو يكون مُسافراً؛ فيجمع بين الصّلاتين إن شاء)**

يعني يجوز له أيضاً أن يجمع بين الصّلاتين؛ فيصلي مثلاً الظهر والعصر مع بعضهما في وقت الظهر، أو في وقت العصر،

ويُصلي المغرب والعشاء مع بعضهما في وقت المغرب، أو في وقت العشاء؛ فيُصلي الظهر أربع ركعات، ثمّ يسلم، ثمّ يصلي العصر أربع ركعات ثمّ يسلم؛ إمّا جمع تقديم في وقت الظهر، أو جمع تأخير في وقت العصر، ويُصلي المغرب ثلاث ركعات ويسلم، ثمّ يصلي العشاء أربع ركعات؛ إمّا جمع تقديم، أو جمع تأخير؛ هذا إذا كان في الحضر.

وإذا كان له عذر في الحضر؛ فيجوز له أن يجمع ما بين الصلوات بالصّورة التي ذكرنا، وأمّا إذا كان مسافراً؛ فيُصلي الظهر ركعتين والعصر ركعتين كذلك إمّا جمع تقديم، أو جمع تأخير، والمغرب يُصليّه ثلاث ركعات، والعشاء يُصليّها ركعتين؛ إمّا جمع تقديم أو جمع تأخير؛ هذا الذي جاء في السنن الثّوابت عن النّبي ﷺ؛ فيجوز الجمعُ في السّفر،

وكذلك يجوز الجمع في الحضر لمن كان معذوراً؛ لحديث ابن عبّاس: "جمع النّبي ﷺ في المدينة من غير خوف ولا مطر"، قالوا: ماذا أراد من ذلك؛ قال: أراد ألا يُخرج أمّته ⁽²⁾، هذا حديث

(1) بهذا اللفظ النوم والنسيان مع قوه لا كفارة لها إلا ذلك لم أجدها في الصحيحين ولا السنن

(2) أخرجه مسلم (705) وأصله عند البخاري

يدلّ على جواز الجمع في الحضر إذا كان هناك حرج على المرء أن يُصَلِّي الصَّلوات في أوقاتها المحددة لها.

ثمّ قال المؤلّف رحمه الله: **([83] والزَّكَاةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالتَّمْرِ وَالْحُبُوبِ وَالِدَّوَابِّ؛ عَلَى مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِنْ قَسَمَهَا؛ فَجَائِزٌ، وَإِنْ دَفَعَهَا إِلَى الْإِمَامِ؛ فَجَائِزٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ).** الزكاة هي الرُّكن الثالث من أركان الإسلام؛ وهي واجبةٌ بالاتفاق؛ بالإجماع، ووجوبها كما ذكرنا متّفق عليه،

وجاحدُها كافر؛ لأنَّ وجوبها ثابتٌ بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، يعلمُه العامّةُ والخاصّةُ؛ فلا يجوز جحدُها؛ فَجَحْدُهَا كُفْرٌ، وهي فريضة من فرائض الله كما ذكرنا، والرُّكن الثالث من أركان الإسلام.

والزكاة تكون في الذهب، وفي الفضة، وكذلك ما يقوم مقامهما؛ كالأوراق النّقديّة؛ فالأوراق النّقديّة أيضاً مثل الذهب والفضّة.

قال: **(والتمر والحبوب)**

يعني: في الحبوب وفي الثّمار؛ كما ثبتت به السنّة؛ لأنّ النبي ﷺ أرسل لمُعَاذٍ أَنْ يَأْخُذَ الزَّكَاةَ مِنَ التمر ومن الزبيب ومن القمح ومن الشعير⁽¹⁾.

وكذلك أُخِذَت الزكاة من الدّواب؛ من الإبل، والبقر، والغنم؛ كل هذا ثبتت به السنن في الصّحيحين وفي غيرها من كتب السنّة.

قال: **(على ما قال رسول الله ﷺ)**

هكذا أمر النبي ﷺ، وهكذا علّم أصحابه، وهكذا فعل أصحابه من بعده.

قال: **(فإن قَسَمَهَا؛ فَجَائِزٌ، وَإِنْ دَفَعَهَا إِلَى الْإِمَامِ؛ فَجَائِزٌ)**

يعني من كانت عليه الزكاة، إذا تولّى هو تقسيمها وصرفها في مصارفها التي نصّ عليها في كتاب الله تبارك وتعالى؛ فَجَائِزٌ وتُجْزَى عنه، وإذا أعطاه للإمام؛ أَجْزَأَتْ عنه أيضاً؛ سواءً كان الإمام بَرّاً، أو فاجرّاً؛ لأنّه يكون قد أدّى ما أمر به، وأدّى ما عليه.

(1) أخرجه عبد الرزاق (7186)، وأحمد (21989)، والحاكم في المستدرک (1/ 558)، وغيرهم

قال المؤلف رحمه الله: ([84] **واعلم أن أول الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله**).

يعني إذا أراد المرء أن يدخل في الإسلام؛ فأول ما يبدأ به من ذلك: الشهادتين؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ وهذا الركن الأول من أركان الإسلام، لا يكون الشخص مسلماً إلا بالإتيان به؛ أن يشهد الشهادتين.

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: إقرار باللسان بما هو في قلبك؛ تُصدّق به وتؤمن به، وتُقرُّ به بلسانك، وتعتقدُه؛ بأنّه لا معبود بحقٍ إلا الله، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

الْبَاطِلُ﴾⁽¹⁾، فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله: أنّه لا معبود بحقٍ إلا الله، فإذا شهدت بذلك؛ فمعناه أنك تُقرُّ به بلسانك معبراً عما في قلبك من الاعتقاد الجازم بأنّه لا معبود بحقٍ إلا الله تبارك وتعالى.

(وأن محمداً عبده ورسوله):

كذلك تُقرُّ بلسانك بما تعتقده في قلبك، من أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي رسول؛ أرسله الله تبارك وتعالى إلى الناس؛ كي يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويبلّغهم رسالة الله تبارك وتعالى، وتؤمن بما جاء به؛ تُصدّق بما جاء به، وتطيعه فيما أمر، وتجتنب ما نهى عنه وزجر، وأنت تعتقد كذلك بأنّه عبدٌ لله خاضع مُتذلل، ورسول لله. وهذه العبودية والرسالة التي تعتقدها للنبي ﷺ تبتعد بها عن الإفراط والتفريط، فإذا آمنت بأن محمداً عبدٌ لله تبارك وتعالى؛ لا تُعطيه شيئاً من معنى الربوبية، ولا شيئاً من معنى الألوهية؛ فلا تعتقد فيه أنّه يتصرف في الكون، لا تعتقد فيه أنّه ينفع ويضر من دون الله تبارك وتعالى، ولا تعتقد فيه أي معنى من معاني الربوبية، ولا تعتقد أيضاً أنّه يستحق أن يُعبد مع الله تبارك وتعالى؛ فلا تخضع وتذلل عند قبره، ولا تدعوه وترجوه أن يرزقك الولد، أو يرزقك الرزق النافع؛ لا شيء من ذلك، ولا تذبح له، ولا تنذر له؛ لا تصرف شيئاً من العبادة له؛ هذا كلّه معنى أن تقول: محمد عبدٌ لله تبارك وتعالى.

(1) [لقمان:30]

وبقولك: رسوله: أنت تُنزلُه منزلته التي أنزلَه اللهُ تبارك وتعالى؛ فهو يختلف عن النَّاسِ بالرَّسالة؛ باصطفاء الله تبارك وتعالى له بأن جعله رسولاً؛ فنُحِبُّه ونُحَرِّمُه، ونُصَدِّقُه، ونُطِيعُه؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى أمرنا بذلك، ولأنَّ الله اصطفاه بالرَّسالة؛ فبذلك نبتعد عن الإفراط والتَّفريط في حقِّه ﷺ، فهاتان الكلمتان تنفيان الإفراط والتَّفريط؛ فلا نتجاوز الحد في حقِّه، ولا نُنْزِلُه منزلة لم ينزلَه اللهُ تبارك وتعالى فيها، وفي نفس الوقت لا نهضمه حقُّه؛ فلا نُعْطِيَه إياه، ونجعلُه كالنَّاسِ أو أقلَّ من النَّاسِ.

وهذا الباب- باب الإفراط والتَّفريط- قد ضلَّ فيه أناسٌ كثيرٌ؛ فعيسى عليه السَّلام- مثلاً- أفرط فيه قوم فجعلوه إلهاً مع الله تبارك وتعالى، جعلوه ابناً لله، أو جعلوا له حقاً في الرِّبوبيَّة أو في الألوهية؛ وهؤلاء النصارى. وقسم آخر: فرطوا في حقِّه فجعلوه ابن زنا! وهم اليهود. والتَّوسَّط في حقِّه: أن يكون عبداً لله ورسولاً؛ أن تؤمن بذلك، فبذلك تنفي الإفراط والتَّفريط في حقِّ الأنبياء والرَّسل.

قال: **([85] وَأَنَّ مَا قَالَ اللهُ؛ كَمَا قَالَ، وَلَا خُلْفَ لِمَا قَالَ، وَهُوَ عِنْدَ مَا قَالَ)** فقول الله تبارك وتعالى كلُّه حق؛ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾⁽¹⁾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾⁽²⁾، فقول الله سبحانه وتعالى صدق وحق.

(وهو كما قال):

لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَحْصُلُ خِلَافُهُ.

(وهو عند ما قال)،

فما قاله من وَعْدٍ أو وَعِيدٍ؛ فهو عنده؛ ما وعد به؛ فهو حاصل ولا بدّ. والوعد يرجع إليه، إن شاء أتمَّه، وإن شاء تركه؛ فأمر الوعد إلى الله تبارك وتعالى.

(1) [النساء: 87]

(2) [النساء: 122]

قال: **[86] والإيمان بالشرائع كلها**

شرائع جميع الأنبياء؛ نؤمن بها، نصدق بها؛ تصديقاً لكتاب الله تبارك وتعالى، وطاعة لأمر الله تبارك وتعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁽¹⁾، إذن نؤمن بكل هذه الشرائع التي أمر الله تبارك وتعالى بالإيمان بها، فنؤمن

ونصدق بأن هذه الشرائع مُنزلة على أصحابها من الأنبياء الذين ذكروا؛ لكنها منسوخة بشريعة نبينا ﷺ؛ فنحن مُلزَمون بالعمل بشريعة محمد ﷺ، لا بتلك الشرائع، لكن إذا جاءت شريعة في تلك الشرائع، لم يُخالفها ما هو في شريعة النبي ﷺ؛ فالصحيح أنها شريعة لنا ما لم يأت ما ينسخها من شريعة النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن الله تبارك وتعالى أمر نبيه بالاعتداء بهدى هؤلاء الأنبياء، بشرط أن تثبت أنها شريعة بطريقة صحيحة.

قال المؤلف رحمه الله: **[87] واعلم أن الشراء والبيع حلال، إذا بيع في أسواق المسلمين، على حكم الكتاب والسنة، من غير أن يدخله تغير، أو ظلم، أو غدر، أو خلاف للقرآن، أو خلاف للعلم**

الأصل في البيع والشراء: الجَلُّ؛ لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾⁽²⁾؛ فالبيع حلال، وما وُجد في أسواق المسلمين لا نسأل عنه؛ لأن الأصل في الأشياء الجَلُّ، لا نعني بذلك أنك تجد خمرًا وتعرف أنه خمر وتقول لا نسأل عنه؛ لا؛ بل المقصود من ذلك إن وجدت لحماً؛ لا تحتاج أن تسأل عنه هل ذُبِحَ على الطريقة الإسلامية أم لم يُذبح على الطريقة الإسلامية، وما شابه، إن وجدت مثلاً صناعة معينة من الصناعات كالبسكويت وغيره؛ فلا تحتاج أن تسأل عما فيه من مواد وما ليس فيه من مواد.. إلخ، فإذا علمت أن أسواق المسلمين لا تدخل مثل هذه الأشياء؛ فعندئذ ما تجده في أسواق المسلمين؛ لا تسأل عنه، لكن إذا كانت أسواق المسلمين لا تختلف عن أسواق الكفار؛ عندئذ تحتاج أن تسأل وتحتاط لدينك.

(1) [البقرة: 136]

(2) [البقرة: 275]

قال: (على حُكم الكتاب والسنة)

يعني إذا كان المسلمون يبيعون على حكم الكتاب والسنة في أسواقهم؛ فعندئذ لا نحتاج أن نسأل، والحلُّ هو الأصل في ذلك.

قال: (من غير أن يدخله تغريز، أو ظلم، أو غدر، أو خلاف للقرآن، أو خلاف للعلم)، قال الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾⁽¹⁾، وقال النبي ﷺ: "من غشنا فليس منا"⁽²⁾، وقال: "لا يحلّ مال امرئ مسلم إلّا بطيب نفس منه"⁽³⁾، وقال: "لا تظالموا"⁽⁴⁾.

ونهى النبي ﷺ عن بيع الغرر، وأمر بالنصيحة والوفاء بالعهد؛ كل هذه من الآداب التي ينبغي مراعاتها عند البيع والشراء؛ فالظلم مُحَرَّم، والتغريز بالمسلمين والخداع لهم مُحَرَّم، والغش مُحَرَّم، والظلم كذلك، الغدر، والخيانة كذلك؛ كلها محرمة لا يجوز فعلها بين المسلمين، فالأصل في البيع والشراء الحل؛ إلّا إذا احتوى على شيء من المذكورات؛ فعندئذ يصير محرماً.

قال المؤلف رحمه الله: ([88] واعلم رحمك الله أنه ينبغي للعبد أن تصحبه الشفقة أبداً ما صحب الدنيا؛ لأنه لا يدري على ما يموت، وبِمَ يُخْتَم له، وعلى ما يلقى الله عز وجل؛ وإن عمل كل عملٍ من الخير، وينبغي للرجل المُسْرِفِ على نفسه أن لا يقطع رجاءه من الله تعالى عند الموت، ويحسن ظنه بالله، ويخاف ذنوبه؛ فإن رحمه الله؛ فيفضل، وإن عذبه؛ فيذنب).

هنا يتحدث المؤلف عن الخوف والرجاء؛ ينبغي على المؤمن أن يبقى سائراً في هذه الدنيا ما بين الخوف والرجاء؛ يخاف من الله تبارك وتعالى، ويرجوه؛ وكما قال أحد علماء السلف: "ينبغي أن يكون الخوف والرجاء بالنسبة للعبد كجناحي طائر"⁽¹⁾، ما معنى هذا؟

(1) [البقرة: 188]

(2) أخرجه مسلم (101) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) أخرجه أحمد (20695)، والدارقطني في "سننه" (2886)، والبيهقي في "سننه" (11545)، وفي "الشعب" (5105)، وأبو يعلى في "مسنده" (1570) عن أبي حرة

الرقاشي عن عمه، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وكذا ضعيف ابن معين أبا حرة.

وأخرجه الدارقطني (2885) من حديث أنس، وقال الذهبي في "تنقيح التحقيق": "إسناده واه".

وأخرجه أحمد من حديث عمرو بن يثري، وجاء من حديث ابن عباس، وأبي حميد

وقد صححه الشيخ الألباني في "الإرواء" (1459)

(4) أخرجه مسلم (2577) عن أبي ذر رضي الله عنه.



يعني ألا يُغلب جانب الخوف؛ فيقع في اليأس والقنوط من رحمة الله تبارك وتعالى؛ ﴿إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽²⁾، ﴿وَمَنْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾⁽³⁾؛ فالخوف الشديد الذي يُغلبه المرء مع عدم التعديل بالرجاء يصل به إلى القنوط من رحمة الله واليأس؛ وهذا مُحَرَّم؛ لا يجوز له أن يقع في مثل ذلك.

وكذلك تغليب جانب الرجاء على جانب الخوف؛ يُوقعه في الأمن من مكر الله تبارك وتعالى؛ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁽⁴⁾؛ فيخشى على نفسه من أن يمكر الله تبارك وتعالى به عندما يُغيب جانب الرجاء؛ فيأمن من مكر الله سبحانه وتعالى؛ فيقع فيما حَرَّمَ الله، ولربما يؤدي به إلى الكفر بالله تبارك وتعالى؛ فلذلك ينبغي على المسلم أن يكون في درجة مُتوسّطة بين الأمرين؛ فيكون له الخوف والرجاء كجناحي طائر؛ يعني متساويين، لا هذا يغلب، ولا هذا يغلب؛ حتى يبقى دائماً معتدلاً؛ فلا يقع في اليأس، ولا يقع في الأمن من مكر الله تبارك وتعالى، لكن عندما يجد من نفسه أنه في موقف قد غلب جانب على جانب آخر؛ يحاول أن يُعدّل الميزان بينهما؛ حتى لا يقع في المحذور.

قال بعض العلماء: "إذا كان على فراش الموت غلب جانب الرجاء؛ لأنه في الغالب في مثل هذا الموطن؛ تعلو كفة الخوف؛ لذلك يحاول أن يُغلب جانب الرجاء على جانب الخوف حتى يعتدلاً.

قال المؤلف رحمه الله. ([89] والإيمان بأن الله تعالى أطلع نبيه ﷺ على ما يكون في أمته إلى يوم القيامة)

الأصل أن الغيب لا يعلمه إلا الله: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽⁵⁾، في خمس لا يعلمهن إلا الله تبارك وتعالى، فالأصل عندنا أن الغيب لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى؛

(1) هذا القول منسوب لأبي علي الرودبائي؛ قال: "الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ كَجَنَاحِي الطَّائِرِ، إِذَا اسْتَوَيَا اسْتَوَى الطَّيْرُ وَتَمَّ طَيْرَانُهُ، وَإِذَا نَقَصَ أَحَدُهُمَا وَقَعَ فِيهِ النُّقْصُ، وَإِذَا ذَهَبَا صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ".

(2) [يوسف:87]

(3) [الحجر:56]

(4) [الأعراف:99]

(5) [النمل:65]



إلا ما شاء الله لمن ارتضى من رسول: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ

رَسُولٍ﴾⁽¹⁾؛ فيُطلع على غيبه من يشاء من خلقه، وليس جميع الغيب؛ إنما على من يشاء من أمور الغيب؛ فيُطلع من شاء من خلقه على ما يشاء من أمور الغيب؛ أما كل أمور الغيب فلا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، ولم يُطلع عليها أحداً كُلاً؛ لكن بعض أمور الغيب يُطلع الله عليها من يشاء من خلقه؛ هكذا كما استثنى في كتابه الكريم، وقد أطلع نبيه عليه الصلاة والسلام على ما سيحصل إلى يوم القيامة، وعلم النبي ﷺ ذلك؛ فقد أخرج البخاري في "صحيحه"، وكذا مسلم في "صحيحه" من حديث حذيفة بن اليمان⁽²⁾، وكذلك أخرج مسلم من حديث عمرو بن أخطب⁽³⁾،

وجاء أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري⁽⁴⁾، ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله جميعاً؛ قالوا: "قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه إلى قيام الساعة إلا حدث به"، وبعضهم قال: "حدثنا من بدء الخلق إلى قيام الساعة"⁽⁵⁾،

وبعضهم قال: "فأخبرنا بما هو كائنُ حفظه من حفظه ونسيه من نسيه"⁽⁶⁾، والبعض قال: "فأعلمنا أحفظنا"⁽⁷⁾؛ فيتبين هنا من روايات هؤلاء الجمع من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ أخبرهم بالأمور التي ستحصل إلى قيام الساعة؛ وهذا مصداق ما ذكره المؤلف - رحمه الله -.

(1) [الجن: 26]

(2) البخاري (6604)، ومسلم (2891) واللفظ لمسلم

(3) (2892)

(4) أخرجه الترمذي (2191)، وأصله عند مسلم، وأخرج ابن منده في "الإيمان" (911/2) حديث عمرو بن أخطب، وقال: "وَرَوَى عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ. أْتَمَّ مِنْ هَذَا مِنْ وَجْهِ فِي أَسَانِيدِهَا مَقَالٌ".

(5) حديث حذيفة عند مسلم (2891)

(6) حديث عمرو بن أخطب عند مسلم (2892)



قال المؤلف .رحمه الله : ([90] **واعلم أن رسول الله ﷺ قال : " سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ؛ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ " ، قيل : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : ما أنا عليه اليومَ وأصحابي "**)

هذا لفظُ حديثِ النبي ﷺ ؛ وهو حديثٌ صحيح ، لم يضعّفهُ أحدٌ إلّا طائفتين من الناس :

● طائفة هم من أهل الخير من أهل العلم ؛ ولكن زلّت أقدامهم ، فلم يفهموه فهماً صحيحاً ؛ فضعّفوه .

● والطائفة الثانية : هم من الفرق التي ذكرها النبي ﷺ ؛ فأرادوا أن يُنَجُّوا أنفسهم من هذا الحديث ؛ فضعّفوه كي يتخلصوا منه .

هذه حال الذين ضعّفوه : إمّا زلّة عالم ، أو هو مبتدع من تلك الفرق ، أراد أن يُدافع عن نفسه فضعّف الحديث ؛ هذه طريقة معروفة عند أهل البدع ، إذا رأوا خطراً عليهم في جانب من جوانب الشريعة ؛ يحاولون التخلّص من هذا الجانب ؛ كما يفعلون في علم الجرح والتعديل ؛ فتجدهم يحاربون هذا العلم ، ويحاولون أن يُوردوا عليه أنواعاً من الشبهات ؛ ماذا يريدون من ذلك ؟

لَمَّا أُصِيبُوا بِنَارِهِ ، واكتووا بها ؛ أرادوا أن يتخلّصوا منه كي يُنَجُّوا أنفسهم ممّا حصل عليهم من التحذير ؛ وهكذا طريقهم .

كذلك فعلوا في هذا الحديث ، الحديث صحيح لا غبار عليه ؛ فهو في كتب السنن عند أبي داود وغيره ؛ قال فيه النبي ﷺ : " ستفترق أمتي ... " إذاً الكلام في أمة محمد ﷺ ؛ أمة الإجابة لا أمة الدّعوة ، أمة الإجابة يعني من هم من المسلمين لا من الكفار ، إذاً فالطائفة إذا كانت كافرة ؛ فليست معدودة من الثنتين والسبعين المذكورة في هذا الحديث ؛ إنّما تُعدُّ في الحديث الطوائف المسلمة لا الطائفة الكافرة .

قال : " ستفترق أمتي إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة " ، وجاء في رواية أخرى : " افتقرت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى إلى إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة ، وتفتقر أمتي إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة ؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ " ⁽¹⁾ ، كل هذه الفرق الثنتين والسبعين في النار ؛ إلّا فرقة واحدة فقط .

(1) تقدم تخريجه .





هنا أراد النبي ﷺ أن يُبين لنا الطريق كي ننجو من أن نكون من تلك الفرق؛ فقال: "هي الجماعة"⁽¹⁾، وفي رواية "قيل من هم يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي"⁽²⁾، هما روايتان؛ فتلك رواية، وهذه رواية ثانية، تُفسرُ إحداهما الأخرى، وتُبينُ المعنى المُراد من الجماعة. المُراد من الجماعة: جماعة المسلمين الذين كانوا على عهد النبي ﷺ، ومن سار على نهجهم؛ يعني أصحاب النبي ﷺ؛ "ما أنا عليه وأصحابي"، ومن خالف هذا الطريق؛ كان من الثنتين والسبعين فرقة الهالكة، يُبين لنا هذا المعنى الحديث الآخر؛ الذي "خطّ فيه النبي ﷺ خطأً مستقيماً، ثم خطّ على جانبيه خطوطاً، ثم قال: "هذا صراط الله المستقيم وعلى جانبيه طُرُقاً؛ على كل طريق منها شيطانٌ يدعو إليه، واقروا إن شئتم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾"⁽³⁾،⁽⁴⁾

إذاً هذا الحديث بنفس المعنى تماماً: طريق الحق واحد وطرق الضلال كثير، وعلى كل طريق من طرق الضلال هذه: دُعاة.

كم تكون مجموعات دعاة الضلال؟

كثير؛ فلا تستغرب عندما تسمع العلماء يقولون: احذر من فلان، وفلان، وفلان، فيقول السامع: ما تركتكم أحداً يا شيخ! - هذه الكلمة تسمّعها عادةً -: ما تركتكم أحداً! هذا النبي ﷺ يخبرك: أن طُرُق الضلال كثيرة، وأن الدُعاة الذين سيكونون عليها أيضاً كثير؛ وقد جاء في الحديث الآخر من حديث حذيفة قال فيه النبي ﷺ عندما سُئل: هل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم؛ دُعاة على أبواب جهنم، من أجابهم؛ قذفوه فيها"⁽⁵⁾،

وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور الرجال؛ وإنما يقبض العلم بقبض العلماء؛ فإذا لم يبق عالماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَلًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"⁽⁶⁾.

(1) أخرجه أحمد (16937)، وأبو داود (4597) عن معاوية رضي الله عنه، وابن ماجه (3992) عن عوف بن مالك رضي الله عنه.

(2) أخرجه الترمذي (2641) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(3) [الأنعام: 153]

(4) أخرجه أحمد (4437)، والدارمي (208)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(5) أخرجه البخاري (3606)، ومسلم (1847).

(6) أخرجه البخاري (100)، ومسلم (2673).



تصوّر قوله: "إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُحَالاً"،

إِذْنِ الْآنَ أَعْدَادُ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ أَمَامَ الرُّؤُوسِ الْجُهَالِ مَاذَا يَأْتِي؟

تصوّر أنه نفى؛ فقال: "إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً"، أو: "إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً؛ كم سيكون العدد؟

عدد قليل جداً هم من الباقين من علماء الهدى؛ الذين يَهْدُونَ النَّاسَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؛ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَأَمَّا أَهْلُ الْبَاطِلِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِجَهْلٍ؛ فَهَمُ كَثُرُ؛ هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ وَهَذَا الَّذِي نَعِيشُهُ فِي زَمَانِنَا هَذَا، تَسْمَعُ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي دِينِ اللَّهِ تَجَدُّهُ مِهْنَدَساً،

كِهْرِبَائِيّاً، شَخْصاً مَا لَهُ عِلَاقَةٌ نِهَائِيّاً؛ يَدْرُسُ الْفِيزِيَاءُ وَالْآخِرُ مَدْرَسَ كِيمِيَاءٍ؛ وَهَكَذَا!

هَؤُلَاءِ؛ مَا عِلَاقَتُهُم بِالْدِينِ، وَبِالشَّرِيعَةِ؟

هَذَا أَعْجَبَهُ لِسَانُهُ أَوْ طَرِيقَتُهُ الْهَلْوَانِيَّةُ؛ فَظَهَرَ عَلَى الشَّاشَاتِ؛ فَصَارَ إِمَاماً يُتَّبَعُ وَيُسْمَعُ لِقَوْلِهِ؛ هَذَا الْحَاصِلُ الْيَوْمَ! انظُرُوا إِلَى مَنْ هُمْ فِي السَّاحَةِ الْآنَ؛ تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ.

فَضْلاً عَمَّنْ هُمْ عُلَمَاءُ فِي الشَّرِيعَةِ؛ وَلَكِنْهُمْ عُلَمَاءُ سُوءٍ؛ عُلَمَاءُ ضَلَالٍ، هَؤُلَاءِ مُوجُودُونَ، هَؤُلَاءِ مِنْ أَوَّلِ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (1): "إِنْ أَوَّلَ النَّاسِ يَقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ..."; وَمِنْهُمْ: "عَالِمٌ لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ؛ قَالَ: "... وَرَجُلٌ

تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتَيْ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ"، إِذَا عِنْدَمَا يَكُونُ

عِنْدَنَا جَمْعٌ كَهَذَا؛ مَاذَا نَفْعَلُ؟

لَا تُورَدُ عَلَى ذَهْنِكَ: مَا أَبْقَيْتُمْ أَحَداً؛ لِأَنَّ السَّاحَةَ هَكَذَا؛ هُوَ أَمْرٌ مُقَدَّرٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ أَنْ يَكْثُرَ عُلَمَاءُ السُّوءِ، عُلَمَاءُ الضَّلَالِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي دِينِ اللَّهِ بِجَهْلٍ؛ لَذَلِكَ وَاجِبُكَ أَنْ تَبْحَثَ عَنِ عَالِمِ الْحَقِّ الَّذِي يَرشُدُكَ إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى، لَا يَرِيدُ مِنْكَ دُنْيَا، لَا يَبْحَثُ عَنِ مَالٍ، لَا يَبْحَثُ عَنِ سِيَاسَةٍ تَصِلُ بِهِ إِلَى الرَّفْعَةِ؛ لَا يَرِيدُ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيَرشُدُكَ إِلَى مَا يَعْتَقِدُهُ مِنَ الْحَقِّ، وَلَا تَحْكُمِ أَنْتَ عَلَى أَقْوَالِهِمْ مِنْ بَابِ مَا تَهْوَى، أَوْ مِنْ بَابِ مَا يَسْتَحْسِنُهُ عَقْلُكَ، وَتَقُولُ هَذَا عَلَى خَيْرٍ وَهَذَا لَيْسَ عَلَى خَيْرٍ؛ مَا هَكَذَا يَحْكُمُ عَلَى الْأُمُورِ.

(1) أخرجه مسلم (1905)

أو أنك تحكم على الناس من ألسنتهم، أو من طريقتهم الهلوانية؛ كل هذا لا ينفعك عند الله سبحانه وتعالى؛ انظر من يريد من وراء تعليمك وجه الله سبحانه وتعالى، من يحرص على اتباع سُنَّة النبي ﷺ، واتباع منهج أصحاب النبي ﷺ، ولا يرتضي طريقاً بديلاً عن هذه الطريق؛ هذا الذي تتمسك به، وتأخذ عنه أمر دينك وأنت مطمئن.

فهذه الأمة كما ذكر النبي ﷺ: "ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا : من هي يا رسول الله؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي"

إذاً هذا هو طريق الحق؛ طريق الحق واحد وطرق الضلال كثيرة؛ كما وصف لنا النبي ﷺ، فإذا أردت أن تنجو؛ فاعرف طريق الحق هذا واسلكه، وطريق الحق هذا هو طريق الصحابة، كما دلَّ على ذلك هذا الحديث، وكما دلَّ على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾⁽¹⁾، هؤلاء الصحابة من السابقين الأولين قد وصلوا إلى مرضاة الله تبارك وتعالى؛

سلكوا طريقاً بها وصلوا إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى، وقلنا طريق الحق واحد؛ إذن هذه الطريق التي سلكها الصحابة هي طريق الحق وغيرها طرق الضلال، فإذا أردت النجاة؛ فاسلك الطريق التي سلكها أصحاب النبي ﷺ، الذين رضي الله تبارك وتعالى عنهم وأعدَّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار. ومن أيضاً؟

من اتبعهم بإحسان؛ فديننا دين اتباع لا دين ابتداع؛ هناك فرق عظيم بين أن تخترع وتبتدع ديناً من عندك وتعبد الله بهواك وبِعقلك، وبين أن تعبد الله كما أراد الله تبارك وتعالى منك. كيف تعرف العبادة التي أَرادها الله منك؟

بأن تسلك الطريق الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ، لا يكفيك أن تدَّعي أنك على الكتاب والسُّنة؛ بل لا بُدَّ أن تتَّبِع، إذا لم تكن مُتَّبِعاً؛ فأنت مُبتدع شئت أم أبيت؛ إذا لم تكن متبعاً لطريق الصحابة؛ فأنت مبتدع شئت أم أبيت؛ لأنك ستُخالفهم، ستخرج عن طريقهم؛ وتكون قد ابتدعت في دين الله ما ليس منه.

[1] [النوبة:100]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾، لاحظ كَلَّه توجيهه إلى الاتباع لا الابتداع؛ لذلك الآن عندما تأتي وتفهم دين الله من

كلام أصحاب النبي ﷺ؛ تجد هذا الكلام كله مَنشأه واحد، مصدره واحد؛ "اتبعوا ولا تبتدعوا

فقد كُفِيتُمْ"⁽²⁾؛ كلمة قالها عبد الله بن مسعود: (اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ) كفاكم أصحاب

النبي ﷺ بيان طريق الحق؛ فلست بحاجة إلى أن تبتدع شيئاً جديداً، واحكم نفسك على

الاتِّباع لا على الابتداع؛ لا تجعل نفسك مُبتدعاً؛ اجعل نفسك متبوعاً؛ فهذا هو دين الله تبارك

وتعالى، لا يُمكنك أن تصلَ إلى ما أرادَ الله منك إلا عن طريق أصحاب النبي ﷺ؛ بذلك تكون

متَّبِعاً بحق؛ وبذلك تنجو من أن تكونَ من الثنَّتين وسبعين فرقة الهالكة.

طبعاً نحن عندما نقول: اثنتان وسبعون فرقة هالكة؛ لا يلزم من ذلك أن كلَّ فردٍ منهم لا بُدَّ أن

يدخل النار؟ لا؛ فهناك أسباب تمنع من دخول النار؛ عشرة أسباب ذكرها ابن تيمية - رحمه

الله- ، وليس الآن موطن ذكرها ؛ لكن منها مثلاً: أن تغلب حسناتهم سيئاتهم، ومن ذلك عفو

الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾⁽³⁾، فإذا لم يكن الواقع فيه المرءُ

شركاً؛ سيعفو الله سبحانه وتعالى عنه إن شاء؛ لكن المهم أنه سالك في طريق يستحقُّ بها

العذاب، فأنت إذا أردتَ النجاة؛ فاسلك طريقَ أصحاب النبي ﷺ.

وليس كل مخالفة يكونُ بها الشخصُ خارجاً عن جماعة المسلمين؛ فهناك مخالفات لا يكون

الشخصُ خارجاً بها عن جماعة المسلمين؛ يعني مثلاً إذا ارتكَبَ معصية؛ لا يكونُ بذلك مبتدعاً

خارجاً عن جماعة المسلمين، كذلك إذا خالف في مسألة ليس فيها أدلة مُحَكِّمة ووقع في بدعة

ولكن نتيجة لوجود غموض في أدلة المسألة؛ مثل كل هذا لا يخرج من جماعة المسلمين؛ إنما

يخرج من جماعة المسلمين إذا ابتدع بدعة خالف فيها الأدلة المُحَكِّمة من كتاب الله أو من

سُنَّة رسول الله ﷺ؛ ومن ذلك مسائل الاعتقاد؛ مسائل الاعتقاد لا شك أدلتها مُحَكِّمة واضحة

[النساء:115] (1)

(2) أخرجه الدارمي في سننه (211)، والمروزي في السنة (78)، وغيرهما.

[النساء:48] (3)

صَريحَة، إذا كان الإنسان مُنصِفاً؛ سيعرف أنّ هذه الطريق هي التي كان عليها أصحاب النبي ﷺ في مسائل الاعتقاد؛ فلا يخرج عنها.

قال المؤلف - رحمه الله - : ([91] هكذا كان الدين إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ الجماعة كلها، وهكذا في زمن عثمان، فلما قُتل عثمان رضي الله عنه؛ جاء الاختلاف والبدع، وصار الناس أحزاباً، وصاروا فرقاً؛ فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير، وقال به وعمل به ودعا الناس إليه).

كان الحق واضحاً جلياً ظاهراً، ليس للحق إلا طريق واحد، ليس إلا هدي واحد؛ كلهم عليه؛ أصحاب النبي ﷺ؛ في عهد النبي ﷺ، في عهد أبي بكر رضي الله عنه، في عهد عمر رضي الله عنه.

استمرت الأمور على هذا الحال، كانت تظهر أحياناً بعض فرق المبتدعة؛ ولكنهم مقبورون لا يستطيع المرء منهم أن يرفع رأسه في ذاك الزمن؛ لأن الحق ظاهر وناصح وقوي؛ فما كانوا يستطيعون الكلام، فإذا خرج واحد منهم؛ عُدب مباشرة؛ على مستوى أنه يسأل الشخص في أمور ليس له فيها شغل؛ كما هو الحال مع صبيغ، في عهد عمر بن الخطاب؛ فإن صبيغاً كان يسأل عن بعض مسائل في القرآن ويشغل نفسه بها؛ فلما سمع به عمر، وجاء إليه، فسأله عمر: من أنت؟ فقال: عبد الله صبيغ، ثم ضربه بالدرّة ضرباً شديداً، حتى قال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد تداويني فقد والله برئت. فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب أن قد حسنت هيئته؛ فكتب إليه عمر أن يأذن للناس يجالسونه⁽¹⁾.

فلما مات عمر جاءوه له وقالوا له: قد جاء وقتك، قال: قد أدبني العبد الصالح.

(1) أخرجه الدارمي في سننه (146)، والأجري في الشريعة (153) وغيرهما.

هكذا كانوا؛ عندما يرفع رأسه- كحال صبيغ- مباشرة يُؤدب وينتهي أمره إلى عهد عثمان- رضي الله عنه -؛ في ذاك الوقت خرج عبّاد الدّرهم والدينار؛ الذين يريدون الدنيا.

فلما أخذوا من الدنيا ما أرادوا؛ خرجوا على عثمان رضي الله عنه، ورموه بالتُّهم الباطلة التي ذبَّها هو عن نفسه، وفنّد لهم شُبهاتهم؛ ما أبقى لهم شيئاً، لكنهم مع ذلك؛ أصرّوا وقتلوه رضي الله عنه؛ وبِقتل عثمان؛ وُضع السيف في هذه الأمّة، وكما قال النّبي ﷺ " إذا وُضعَ فيها السَّيفُ لا يُرْفَع إلى قيام الساعة"(1).

وبدأت الفتن وبدأ رؤوس أهل البدع والضلال بالظهور، وبنشر بدعهم بين الناس؛ ويُحرّفون دين الله سبحانه وتعالى، وكثُرَت الفتن وكثُرَت الضلالات ومن أراد الحق وأراد الهداية: لزم طريق النبي ﷺ وابتعد عن الفتن؛ فاجتنبها ولزِمَ ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ؛ فينجيه الله سبحانه وتعالى من تلك الفتن إن شاء. ومن كان مفتوناً؛ وقع في الفتن، وضاع.

من ذاك الزّمن بدأت البدع تظهر؛ ظهرت بدعة القدرية، وبدعة الخوارج، وبدعة الرّفص، وغيرها من البدع، وصار لأهل البدع شوكة وقوة؛ حتّى صار يمتحن أهل السُّنّة يمتحنون بهم، ففي عهد الإمام أحمد، امتُحن أهل السنة؛ جُلِدوا، قُتلوا، شُرِدوا إلى أن نصرهم الله سبحانه وتعالى على عدوهم.

الشاهد: أن البدع والضلالات ظهرت من تلك الأوقات، وبدأت تنتشر؛ والأمر كما قال ﷺ: "خيرُ النَّاسِ قرني ثُمَّ الذين يَلُونهم ثُمَّ الذين يَلُونهم"(2)، فذكر ثلاثة قرون كانت فيها السُّنّة عزيزة قويّة متينة، والبدع مُهانة مغلوبة، ثم بعد القرون الثلاثة الأولى بدأ يظهر أهل البدع وصارت تكون لهم قُوّة وشوكة.

قال: (فلَمَّا قُتِلَ عثمان رضي الله عنه؛ جاء الاختلاف والبدع)

(1) أخرجه أحمد (78/37)، وأبو داود (4252)، والترمذي (2202)، وابن ماجه (3952)، من حديث ثوبان، وأصله في مسلم (2889).

(2) أخرجه البخاري (2652)، ومسلم (2533).

انتشرت الاختلافات وانتشرت الضَّلالات بين الناس وصارَ النَّاسُ أحزاباً؛ جماعات.
الحزب ما هو؟ ومتى يكون الشخص حزبياً؟

إذا والى الشخص وعادى على غير الكتاب والسُّنة؛ فهو حزبي.

كلُّ جماعة تُوالي وتُعادي؛ إمَّا على شخص، أو على كلام مُعين يُوالون ويعادون عليه؛ فهم حزب، عندئذٍ تفرَّقوا إلى أحزاب، وسيأتي الحديث عن مسألة التَّفريق.

قال: **(وصاروا فِرْقاً، فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير)**

أول الفتن؛ إمَّا أن تثبت على الحق، أو أن تزيع عنه، والمطلوب منك أنت: أن تتمسَّك بالكتاب والسنة وبما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، وتنظر إلى علماء السُّنة الذين يتمسكون بالسُّنة في وقت الفتن بالذات، وترجع إليهم؛ تستشيرهم وتسألهم في أمر هذه الفتن وماذا تصنع، لا تمش على رأسك؛ لئلا تضيع.

قال: **(وقال به وعمل به)** أي: بالحق،

(ودعا الناس إليه) أي: إلى الحق.

قال المؤلف - رحمه الله - **([92] فكان الأمرُ مستقيماً حتى كانت الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ في خلافة بني فلان؛ انقلبَ الزَّمانُ وتغيَّرَ النَّاسُ جداً، وفشَّتِ البدْعُ، وكثُرَ الدُّعاةُ إلى غيرِ سبيلِ الحَقِّ والجماعة، ووقعتِ المحنةُ في كلِّ شيءٍ لم يتكلم به رسول الله ﷺ ولا أحدٌ من الصحابة)** بقي الأمر مستقيماً؛ ثم بعد القرون الثلاثة الأولى التي ذكرَ النبي ﷺ خيريتها؛ تغير كما قال: **(في خلافة بني فلان انقلب الزمان)** ولم يرد أن يذكرهم؛ خشية الفتن.

قال: **(انقلب الزمان، وتغيَّرَ النَّاسُ جداً، وفشَّتِ البدع)**

وهذا كان في عهد العباسيين

(وكثُرَ الدعاة إلى غيرِ سبيلِ الحَقِّ والجماعة، ووقعتِ المحنة في كلِّ شيءٍ)

في كل مسائل الدين؛ وقعتِ المحنة.

قال: **(في كلِّ شيءٍ لم يتكلم به رسول الله ﷺ ولا أحدٌ من الصحابة)**

علماء السلف علماء السُّنة كالإمام أحمد وغيره كانوا يتكلمون بالسُّنة، وإذا ظهرت بدعة لم

يتكلّم بها النّبي ﷺ ولا أصحابه؛ حاربها الإمام أحمد، وحاربها أهل السنة، ووقعت المحنة عليهم؛ ولكن نصرهم الله تبارك وتعالى في آخر الأمر.

قال المؤلف : ([93] ودعوا إلى الفرقة، وقد نهى الله عزّ وجلّ عن الفرقة، وكفّر بعضهم بعضاً، وكلّ دعا إلى رأيه وإلى تكفير من خالفه؛ فضّل الجّهال والرّعاغ ومن لا علم له، وأطمعوا الناس في شيء من أمر الدنيا، وخوّفوه عقاب الدنيا؛ فاتّبعتهم الخلق على خوف في دينهم، ورغبة في دنياهم)

هذا حال الناس في الفتن؛ دعا أهل البدع إلى الفرقة، وهذا حال أهل البدع دائماً؛ يدعون إلى الفرقة وإلى الاختلاف؛ كل طائفة منهم تريد الغلبة لها، تريد السلطة لها؛ فيدعون الناس إلى التفرّق وإلى الاختلاف.

قال: (وقد نهى الله عزّ وجلّ عن الفرقة):

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾⁽¹⁾.

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾⁽²⁾، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا

وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁽³⁾؛ فقد نهانا الله عن التّفرّق وأمرنا بالاجتماع؛ لكن على أي شيء؟

ليس مجرد اجتماع كما حاول البعض أن يفعل؛ مجرد أن نجتمع فقط؛ لا؛ بل الاجتماع المأمورون به هو اجتماع على الكتاب والسنة، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، إذن اجتمعوا على الكتاب والسنة؛ نوالي ونُعادي في الكتاب والسنة، نحب ونبغض في الكتاب والسنة؛ على هذا نجتمع، أمّا على الضلال؛ فلا نجتمع، نحن ندعو أهل الضلال الذين فرّقوا الأمة إلى أن يتركوا ضلالهم ويجتمعوا معنا على الحق؛ هكذا يكون الاجتماع؛ وهذا الاجتماع الذي أمر الله سبحانه وتعالى به

[1] [آل عمران:105]

[2] [الأنعام:159]

[3] [آل عمران:103]

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ حبِل الله الذي هو واصلٌ بيننا وبين الله، وهو الكتاب والسُّنة

نعتصم بهما؛ نتمسك بهما، ونترك كلَّ ما خالفهما.

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ لا تتفرقوا عن كتاب الله وعن سُنَّة رسول الله ﷺ، فمن ابتدَعَ في دين الله

بدعة؛ فقد فرَّق الأمة، وشَتَّت شملها كما قال عليه الصَّلَاة والسلام: "ستفترق هذه الأمة إلى

ثلاث وسبعين فرقة".

قال: (وَكَفَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا)

هذا حال أهل البدع والضَّلَال؛ الخوض في مسائل التكفير؛ فيكفِّر بعضهم بعضاً من أجل أن يستبيحوا لأنفسهم أموال المسلمين وأعراضهم ودمائهم، وقد حرَّمها الله سبحانه وتعالى: "إِنَّ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَائَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا"⁽¹⁾؛ لكنهم أرادوا أن يأخذوا من هذه الأشياء التي فيها منفعة لهم في دنياهم- ولم يجعل الله لهم من سبيلٍ عليها بما أنهم مسلمون- فيكفروهم، ويستحلُّون مع تكفيرهم كل شيء؛ فيستحلُّون المال، ويستحلُّون العرض ويستحلُّون الدم؛ كل شيء يُصبح حلالاً، فمن أجل أن يُعطوا لأنفسهم هذا المجال؛ يكفرون المسلمين.

قال: (وَكُلُّ دَعَا إِلَى رَأْيِهِ وَإِلَى تَكْفِيرٍ مِنْ خَالِفِهِ)

هذه طريقتهم؛ يدعون إلى آرائهم وإلى بدعهم وإلى تكفير من خالفهم.

قال: (فَضَّلَ الْجَهْلُ وَالرَّعَاعَ وَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ)

من يضيع في هذا؟ يضيع بهذا عامة النَّاس؛ الجُهَّال والرَّعَاع ومن لا علم عنده؛ يضيعون بين أقدام هؤلاء القوم، يسمعونهم؛ فيظنونهم دُعاة هدى؛ لأن الواحد منهم يكون بعيداً عن دين الله خائضاً في أمر دُنياه، لا يتعلَّم شرع الله ودينه، فإذا جاءت الفتنة؛ تجده يتلقَّفه أوَّل داعٍ ويذهب به فوراً، يذهب بدينه ودنياه!

فهؤلاء هم الذين يضلُّون؛ لأنهم يسمعون لأهل البدع، لا يتعلمون السنة والبدعة، ولا يعرفون الفرق بين داعية الهدى وداعية الضَّلَال؛ فيضيعون في هذه المتاهات.

(1) أخرجه البخاري (67)، ومسلم (1679)

قال: (وأطمعوا الناس في شيء أمر من الدنيا)

كيف يستغلّون العامّة؟ هؤلاء دُعاة الضلال يستغلّون العامة بإطماعهم في أمور الدنيا؛ تعال معنا، قاتل معنا، سنعطيك من المال، نعطيك من الجاه مراتب.

الآن بعض الفرق الموجودة بيننا هنا، عندما يريدون أن يستقطبوا الأطفال والصبيّة؛ ماذا يفعلون؟ إمّا أنهم يستقطبونهم بالمال، أو برحلات سباحة، رحلات كرة قدم، وعندما يكبر الولد قليلاً؛ يُصدّرونه مباشرة في حلقة، ويصبح هو الرّئيس؛ جاه، رياسة؛ هذه أمور الدنيا التي يستغلّون بها عامّة الناس الذين لا علم عندهم؛ لا يعرفون الحق من الباطل، هو يعرف الدّنيا؛ مُلهيات، وينصرف معها.

قال: (وخوّفوه عقاب الدنيا؛ فاتّبعهم الخلق على خوف في دينهم ورغبة في دنياهم).

قال المؤلف: ([94] فصارت السّنة وأهل السّنة مكتومين، وظهرت البدعة وفشت، وكفّروا من حيث لا يعلمون؛ من وجوه شتى، ووضعوا القياس، وحملوا قدرة الرّب وآياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهم، فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالف عقولهم؛ ردّوه؛ فصار الإسلام غريباً، والسّنة غريبة، وأهل السّنة غرباء في جوف ديارهم)

قال: (فصارت السّنة وأهل السّنة مكتومين، وظهرت البدعة وفشت)

في ذاك الزّمان، بعد القرون الثلاثة الأولى، عندما حلّت المِحَن في النّاس؛ فصارت السّنة وأهل السّنة مكتومين، وصار الظّهور لأهل البدع؛ خاصّة عندما يكون الحُكّام الذين يحكمون في زمن معيّن يميلون إلى أهل البدع؛ فيُظهرون أهل البدع، ويُخفون أهل السّنة، ويُسكّتونهم.

قال: (وظهرت البدعة، وفشت وكفّروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتى، ووضعوا القياس، وحملوا قدرة الرّب وآياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهم، فما وافق عقولهم؛ قبلوه، وما خالف عقولهم؛ ردّوه؛ فصار الإسلام غريباً والسّنة غريبة، وأهل

السُّنَّةُ غُرْبَاءُ فِي جَوْفِ دِيَارِهِمْ

صارت السُّنَّةُ وأهل السُّنَّةُ مكتومين، ظهرت البدع، وظهر أهل البدع، اختفى أهل السُّنَّةِ، وظهرت البدعة وفشت.

قال: (وَكَفَّرُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ وَجْهِ شَيْءٍ)

أي من وقع منهم في مكفر كالجهمية ومن شابههم.

قال: (وَوَضَعُوا الْقِيَاسَ)

القياس: يعني القياس العقلي في الأمور الغيبية، كصفات الله سبحانه وتعالى، أعظم الفتن كانت في ذاك الوقت الذي يتحدث عنه المؤلف في هذا الجانب؛ فكانوا يحكمون على الله سبحانه وتعالى بعقولهم، وقاسوا الله سبحانه وتعالى على عبادِهِ، فصاروا ينفون عنه ما أثبت لنفسه.

قال: (وَحَمَلُوا قُدْرَةَ الرَّبِّ وَأَيَاتِهِ، وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ عَلَى عَقُولِهِمْ)

يعني جعلوا عقولهم هي الحاكمة على الله وعلى أمره وعلى صفاته، فما رأت عقولهم بأنَّه يصلحُ لله؛ نسبوه إليه، وما رأت عقولهم أنَّه لا يصلح له؛ نفَّوه عنه؛ مع أنَّه أثبتَّه لنفسه. هكذا جعلوا أنفسهم حُكَّاماً على الله تبارك وتعالى، فما وافق عقولهم؛ قبلوه، وما خالف عقولهم؛ ردَّوه؛ هذه طريقة الجهمية بصفة عامَّة؛ جهمية، معتزلة، أشاعرة، ماتريديَّة، الكلَّابية؛ كلَّهم على هذه الطَّريقة؛ حكموا على الله سبحانه وتعالى بعقولهم؛ فجعلوا عقولهم هي الحاكمة على الله، فما أجازوه على الله بعقولهم؛ أثبتَّوه، وما لم يُجيزوه على الله بعقولهم؛ رفضُّوه؛ فصارَ الإسلامُ غريباً كما قال النبي ﷺ "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ" (1).

قال: (وَالسُّنَّةُ غَرِيبَةٌ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ غُرَبَاءُ فِي جَوْفِ دِيَارِهِمْ)

حين تنتشر البدعة وتنتشر الضَّلالات؛ يظهر عالم السُّنَّةِ، ويدعو إلى السُّنَّةِ؛ فيكون هو الغريب، وهو الآتي ببدعة؛ فتُصبح السُّنَّةُ بدعة والبدعة سُنَّةً؛ وهذا الذي حصل في زمن الإمام أحمد مع الجهميَّةِ، عندما أظهروا القول بخلق القرآن وامتحنوا النَّاسَ على ذلك، وتَبَيَّنَ

(1) أخرجه مسلم (145)

هذا القول أحد أمراء العباسيين؛ فامتحن الناس على ذلك، فقتلوا من قتلوا من العلماء،
وعذبوا من عذبوا؛ حتى رفع الله سبحانه وتعالى هذه المحنة، وثبتت فيها من ثبتت من أهل
السنة؛ ومنهم الإمام أحمد، ونصر الله على يديه السنة، ورفع الله ذكره إلى يومنا هذا.
نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على الحق،

ونكتفي اليوم بهذا القدر إن شاء الله

